النص التواصلي

قيم روحية واجتماعية في الإسلام

(د.شوقي ضيف)

تقديم النص

رأيت في النص الأدبي بعضا من القيم الإسلامية تجلت في قصيدة عبدة بن الطبيب، والقيم الواردة في تلك القصيدة جزء من منظومة شاملة متكاملة لتربية النفس وضبط المجتمع وحمايته من الاختلال، وهذا النص للدكتور: شوقي ضيف يتحدّث حول ذلك.

النص

تدل كلمة الإسلام باشتقاقها اللغوي على معنى الخضوع والانقياد، وقد ترددت في القرآن الكريم بهذا المعنى في مثل: (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[1]. ومن ثم أطلقت علما على ديننا الحنيف، وهو دين لسعادة الناس كافة، دين يكمل الديانات السماوية السابقة. والإسلام يقوم على ركنين أساسيين هما: العقيدة والعمل، وأهم أصل في العقيدة الإسلامية الإيمان بوحدانية الله وتفرده في التدبير والتسيير، وتنبثق عن هذا الأصل أصول أخرى هي أصول العقيدة الإسلامية، وبجانبها أعمال من العبادات يجب على المسلم أداؤها وهي ترجع إلى أربعة أصول: الصلاة والصوم، والحج والزكاة.

ولم يرسم القرآن الكريم للمسلمين معالم عقيدتهم و فروضها العملية فحسب، بل رسم لهم طريق الفضيلة وما ينبغي أن يتحلوا به في سلوكهم وأخلاقهم حتى ينالوا رضا ربهم ومحبته، يقول تبارك وتعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»[2]، «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»[3]، «وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا»[4]، «يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا»[5]، «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا»[6]، «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ..»[7]

« وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ و اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ »[8]. وقد حرم الإسلام جملة من الفواحش ما كبر منها وما صغر (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[9]. ومما حرمه تحريما باتا آفة الخمر و آفة القمار (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسَرُ والأنصاب والأزلام رِجْسٌ مِنَ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[10] ودائما تلقانا في الذكر الحكيم دعوة المسلمين إلى الخير والارتفاع عن الدنايا والنقائص.

وبهذه القيم الروحية جميعا يقوم الإسلام، فهو ليس عقيدة سماوية وفروضا دينية فحسب، بل هو أيضا سلوك خلقي قويم، إذ يدعو إلى طهارة النفس ونبذ الفواحش والرذائل، و مراقبة الإنسان لربه في كل ما يأتي من قول أو فعل.

وإلى جانب هذه القيم الروحية أرسى الإسلام القواعد الاجتماعية لهذه الأمة، بحيث تكون أمة مثالية يتعاون أفرادها على الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، يسودهم البر و التعاطف حتى لكأنهم أسرة واحدة، محيت بين أفرادها كل الفوارق القبلية والجنسية، يشعر كل واحد منهم بمشاعر أخيه، باذلاً له ولمصلحة هذه الأمة كل ما يستطيع.

وحاول القرآن أن يقيم ضربا من العدالة الاجتماعية في محيط هذه الأمة إذ جعل رد الغني بعض ماله على الفقير وعلى الصالح العام للأمة حقا دينيا. إنه لا يعيش لنفسه وحدها بل يعيش أيضا لأمته و يترابط معها ترابطا اقتصاديا كما يترابط في وجدانه و إيمانه. وقد اندفع كثير من الصحابة ينفقون أموالهم جميعا في سبيل الله.

وقد نظم حقوق المرأة و رعاها خير رعاية، فجعلها كفؤا للرجل، لها ما له من الحقوق يقول تبارك وتعالى : « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ »[11] وأيضا لهن مثل ما للرجال من السعي في الأرض والعمل والتجارة، يقول عز شأنه : « لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ »[12].

ومـن غير شـك ليسـت هنـاك علاقة بين الإسـلام ونظـام الحريـم الذي شـاع في العصر العباسـي، فإن الإسـلام يجل المرأة ويرفع قدرها حتى لنراها في صدر الإسـلام تشـارك في الأحـداث السياسـية علـى نحو ما هـو معروف عن موقف السـيدة عائشـة أم المؤمنين في حروب علي وطلحة والزبير، ولاشك في أن النساء يقدرن دور الإسلام في إنصافهن".

بتصرف. من كتاب: «تاريخ الأدب العربي» العصر الإسلامي

educportal
البوابة التعليمية الجزائرية